



د. نبيل محمد شلبي \*

الحاجة أم الاختراع .. فمن أبوه؟ كان ذلك عنوان إحدى مقالاتي في عام ٢٠٠٣م في مجلة «الاقتصاد» وأوضحت أنه إذا كانت الحاجة أم الاختراع فإن التمويل هو أبوه والحاضنة هي بيته وملاده، حيث يحتاج الاختراع إلى الدعم المادي والفني والبيئة المناسبة لمزيد من التجارب وخروجه إلى حيز الوجود. كتبت ذلك عندما أهدى صديقي السعودي تبرمه وقال «لقد صار لي ثلاث سنوات حاملاً اختراعي باحثاً عن ممول لهذا الاختراع. لم أعد أدري أين أذهب؟ لقد طرقت كل الأبواب من الغرف التجارية إلى مؤسسات دعم الموهوبين وشباب الأعمال وكل ذلك دون جدوى، وبعد أن هدأ تحاورت معه وشرعنا في مناقشة هادئة لعلها تقودنا إلى حل لمشكلته والتي يعاني منها الكثير من الشباب العربي من الموهوبين والمخترعين وممن يحملون أفكاراً واعدة لمشروعات مبتكرة.

## الإبداع .. طريق النجاح



حاضنة أعمال حالياً بالعالم، هناك ١٩ حاضنة فقط تعمل حالياً في جميع الدول العربية!!

### تحدي الاكتشاف

واكتشفت أن صديقي بالفعل يمتلك من الأفكار الواعدة والتي يمكن أن تكون نواة لمشروعات جديدة غير تقليدية، ولكن كيف يتأتى ذلك مع وجود قصور من جهات يفترض أن تتبنى أفكار الشباب، رغم أن الاتجاه والرغبة المتنامية لتأسيس مشروعات من شباب خريجي الجامعات والمدارس وحتى المتقاعدين مبكراً لإقامة مشروعات خاصة بهم في تزايد مستمر في بلدنا العربية لأسباب كثيرة اقتصادية واجتماعية، منها عدم استيعاب القطاع الحكومي لهم والصعوبات التي يواجهونها لدى القطاع الخاص إضافة إلى الرغبة الشخصية لهم في اقتحام مجال العمل الحر بما له من بريق خاص. ولكن عدم القدرة على التعرف على أفكار وفرص المشروعات الجديدة

تذكرت هذه الواقعة وأنا أتأمل مياه بحر عمان الهادئ عندما لبيت دعوة المؤتمر العالمي الأول للإبداع والعمل الحر تحت رعاية الأمم المتحدة في أبريل الماضي للتحدث في جلستين ضمن جلسات المؤتمر الذي التقى فيه ٨٠٠ مشارك من ٨٦ دولة، وبصراحة ورغم تأكيدي بالمؤتمر على أن العرب لديهم كنز وتاريخ عظيمين من الإبداع والمعرفة في الوقت الذي كان الأوروبيون غارقين في ظلمات الجهل وأمريكا لم تكتشف بعد، وتذكيري لهم باختراع الصفر و«الألغوريثم» الذي يدرسه كل مبرمجي لغات الكمبيوتر في العالم والمُحرّف من «ألخوريثم» نسبة إلى مبتكره عالمنا العربي الخوارزمي وغيره من عشرات الأمثلة. إلا أنني لم أكن مرتاحاً، ففي الوقت الذي كان يذكر فيه المشاركون الأجانب قصص النجاح وما وصلوا إليه من تقدم وُرقّي في شتى العلوم بسبب الاستثمار في إبداع الشباب وتشجيع العمل الحر، كان العرب حائرين في تشخيص المشكلات ومعرفة الأسباب التي أوصلتنا إلى هذا الوضع وأذكر القارئ بما ذكرته سابقاً في مجلة الاقتصاد أيضاً، أنه ضمن ٤٠٠٠

اقتصاد جديد يعتمد على المعرفة. تتزايد أهمية الابتكار والتحول من اقتصاديات السلع إلى اقتصاديات الأفكار. كما تتضح أيضاً أهمية تبني الاختراعات والابتكارات التي يمكن أن تقوم عليها مشروعات استثمارية جديدة من خلال آليات مبتكرة، حيث يمكن لحاضنات الأعمال على سبيل المثال أن تبني ابتكار المستثمر وكأنه وليد يحتاج إلى الرعاية الفائقة. ثم تدفع به تدريجياً بعد ذلك لأسواق العمل الخارجية قوياً قادراً على النماء ومؤهلاً للمستقبل ومزوداً بآليات النجاح.

### المصدر الأول للإبداع

سبحان الله (البديع) وهو اسم من أسماء الله الحسنى وهو الخالق المصور الذي خلق المخ البشري حيث مكان الفكر والذاكرة ومركز الإحساس والتعلم. متوسط وزن المخ البشري ١,٣ إلى ١,٤ كيلو جرام من المادة الحية. يمكنه العمل بحوالي ٢٠٪ من طاقته وقدرته العقلية. به ما يزيد على ألف مليون خلية. يخزن ألف معلومة جديدة كل ثانية. يتعرف على الشيء في أقل من ثانية. بحجمه الصغير يعادل حاسباً آلياً وزنه عشرة

علاوة على ظاهرة التعثر التي واجهت مشروعات ليست بالقليلة أعطت مؤشراً خطيراً وولدت انطباعاً سلبياً لدى راغبي العمل الحر بقتامة صورة مستقبل المشروعات الصغيرة حيث ازداد الخوف من الإقدام على المشروعات. إن التحدي الحقيقي الذي يواجهه مجتمعنا العربي عموماً هو ضرورة توجيه الدعم الكامل لاكتشاف المبتكرين والمبادرين القادرين على إنجاح مشروعات غير تقليدية رائدة يمكنها توليد مشروعات تسهم في زيادة فرص العمل وقادرة على المنافسة في الأسواق العربية والعالمية. إن ما يصرف من برامج تدريبية في المملكة على آلاف الشباب والخريجين بغرض التوظيف يمكن أن يوجه جزء منه لعدد من الشباب والشابات نتأكد من امتلاكهم سمات المبادرة لفتح آفاق وفرص عظيمة لهؤلاء الشباب ليكونوا رجال وسيدات أعمال يلعبون دوراً اقتصادياً فاعلاً.

### عصر الإبداع

نحن في عصر تتغير فيه الأشياء بسرعة مذهلة، لا يوجد فيه مكان للأفكار البالية التي لا تساير متطلبات الحياة للأفراد الذين تتزايد رغباتهم



أطنان. ينشغل بأكثر من شيء في وقت واحد. يتحكم في القدرة على استخدام اللغة والحساب والمنطق والتحليل. يتحكم في قدرة الإنسان على الحدس والتنبؤ والتصور والتخيل والرؤية والإبداع.

### أنواع الإبداع

الشعور الشائع عن الإبداع أنه فقط نتيجة للمحة عبقرية، ولكني أرى أن الإبداع يمكن أيضاً أن يكون ثمرة مجهود ميدول من المستثمر الصغير لاستغلال إبداع ما بغرض تحقيق رغبات المستهلك وتلبية احتياجاته. فالمستثمر الناجح عليه أن يغتنم الفرصة في دعم وتبني الفكرة الناتجة من زيادة القيمة المضافة للمنتج أو الخدمة.

### ويشتمل الإبداع على:

الاختراع: وهو حدوث تغيير جوهري يؤدي إلى استحداث منتج أو خدمة جديدة. مثل جراهام بل مخترع الهاتف، وأيدون لاند مخترع الكاميرا بولارويد الفورية.

في الاستمتاع بكل ما هو جديد. وينطبق هذا بجلاء على المنتجات الاستهلاكية أو الخدمية أو حتى السلع المعمرة التي يجب أن تتطور كل يوم لتفي بمتطلبات الأفراد والمجتمع. إن المستثمر السعودي الصغير «الإنتربرنور» يجب أن يظهر ابتكاره الجديد في سلعته وفي خدماته المختلفة، فالابتكار يعد أحد العوامل المهمة في إنجاح المشروع. وفي ظل الظروف والمتغيرات الدولية والمنافسة الشديدة المواكبة لانضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية، سوف يتحول الابتكار والإبداع إلى أداة مهمة من أدوات التعامل مع تطورات البيئة الدولية الجديدة. وسواء كان الأمر يتعلق بالشركات الفردية أو الاقتصاديات الوطنية، فإن الابتكار هو مفتاح أية ميزة تنافسية، وهو قوة دافعة نحو تحقيق النمو. وكم كانت سعادتي غامرة عندما أطلق خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - منذ فترة مشروع مدينة المعرفة الاقتصادية في المدينة المنورة لتكون أول مدينة من نوعها قائمة على الصناعات المعرفية وتشتمل على مجمع طبية للتقنية ومعهد للدراسات التقنية المتطورة، حيث أنه في ظل

**التطوير:** وهو تحسين وزيادة جودة المنتج والخدمات. فالمستثمر يستفيد من الخبرات السابقة ويطورها لاستحداث الجديد في المجال نفسه. مثل بيل جيتس مؤسس ميكروسوفت فهو لم يخترع الكمبيوتر ولكنه كيف يستفيد منه؟  
**الإبداع في المنتج:** مثل تحسين منتج أو استحداث خواص جديدة لمنتج موجود. مثل ماكس براون ابتدع آلة الحلاقة الكهربائية.

**الإبداع في الخدمات:** وذلك بتطوير نظم التسويق أو أساليب إدارية جديدة. مثل سام ويلثون مؤسس وول مارت الذي قام بتطوير نظام التوزيع مما أدى لتقليل تكلفة التوصيل.

**الإبداع في العمليات:** بإدخال عمليات تشغيل جديدة أو تحسين الحالية بهدف تقليل التكلفة أو تحسين الجودة أو زيادة الإنتاجية. مثل هنري فورد أدخل فكرة خطوط التجميع للسيارات مما جعل شركته تعطي إنتاجية عالية بتكلفة تصنيع أقل.

## دوافع الإبداع

هناك العديد من المصادر التي تقوم بدور المحرك والدافع للإبداع ومنها الخبرة العملية. فكثير من المبدعين تواتهم أفكار مبتكرة أثناء مزاولة أعمالهم لدى الغير، مثل بعض الصناعات التي تكون بمثابة حاضنات لإخراج ابتكارات جديدة. فعلى سبيل المثال فإن كين أولسون - مؤسس شركة المعدات الرقمية - قرر أن يؤسس شركته الخاصة مستفيداً من خبرته في عمله السابق في شركة أي بي إم والتي كانت بمثابة حاضنة لفكرته المبتكرة في تصنيع معدات رقمية. أيضاً الجهد والمثابرة يسهمان إلى حد كبير في إخراج المنتجات أو الخدمات الجديدة إلى حيز الوجود. فعلى سبيل المثال فإن نولن بوشنل مخترع لعبة الأتاري، استخدم قطعاً إلكترونية مهمة وأجزاء من اللعب القديمة لابنته ليطور وينتج أول جهاز إلكتروني للعبة الأتاري وكل هذا تم في جراج منزله. كذلك فإن احتياجات ورغبات المستهلك هما المحرك الرئيسي والدافع للابتكار، فمثلاً ماكس براون نجح في تقديم العديد من الأجهزة المنزلية الكهربائية بعد دراسة احتياجات ورغبات ربة المنزل المستخدمة النهائية لمنتجاته. كما أنه في أحيان كثيرة تقوم المنتجات والخدمات التي يقدمها المنافسون في السوق بدور المحرك لتحفيز المبدع لابتكارات جديدة منافسة رغبة منه في احتلال الصدارة لتسويق منتجاته المميزة وليدة ما بذله من أفكار جديدة مبتكرة مثل السباق التنافسي بين شركتي هيوليت باكارد وإيسون المنتجين لطابعات الحاسب الآلي.

## الحاضنات

تعد الحاضنات بأنواعها المختلفة إضافة إلى الأشخاص المبدعين من أهم العناصر التي تهيبّ المناخ المناسب لظهور الأفكار الجديدة حيث يتم احتضان هذه الابتكارات لتصبح فيما بعد كياناً قابلاً للخروج إلى حيز التنفيذ.

## دعوة للتطوير

كما نعلم فإن العالم العربي سوف يكون في عام ٢٠٢٠م بحاجة لأكثر من ١٠٠ مليون فرصة عمل جديدة حيث سيبلغ عدد السكان ٤٢٥ مليون نسمة، وهذا يحتاج إلى تريليوني دولار وليقيني أننا قادرين على التحدي، فإن لي

عددا من المقترحات أتمنى من الجهات المعنية أن تدرسها وتتبنى ما يصلح منها ومن ذلك:

❖ التعليم: يجب على الحكومات العربية تطوير برامج ومناهج وأساليب التدريس الحالية فيما يتعلق بالعلوم التقنية والفنية والتطبيقية، والبدء مما انتهى إليه الآخرون في مجالات تقنية المعلومات والاتصالات والتقنية الحيوية والهندسة الوراثية والذكاء الصناعي وعلوم الفضاء وغيرها من العلوم الحديثة لخلق جيل جديد من الشباب، وفي نفس الوقت زيادة الاهتمام بالعلوم الشرعية والتي من شأنها مساعدة الأجيال الجديدة على العمل بإخلاص ونهضة الأمة ككل.

❖ على الدول العربية أن تتبنى المبدعين وتوليهم الاهتمام ليحققوا أهدافاً اقتصادية مؤثرة فعندما تقوم دولنا بتطوير الفكر داخل بيئات معلوماتية واعية فإن ذلك يساعد في تهيئة جيل من المبدعين يحقق الرخاء والاستقرار.

❖ على الحكومات العربية ومستثمري القطاع الخاص اتخاذ الخطوات اللازمة لتوفير الإمكانيات المطلوبة لمبادرات الأعمال لنقل الأفكار المبدعة من الحيز النظري إلى حيز الوجود.

❖ البحث دائماً عن أفضل الخبرات والوصول إليها، فما تتعلمه أية مؤسسة أو تتوصل إليه من خبرات يمكن نقله إلى المجال العلمي ليخدم مختلف المشروعات والصناعات.

❖ الحواجز البيروقراطية والروتينية هي العدو الواضح للإبداع ومبادرات الأعمال. وعلينا التخلص منها لأنها تعوق روح الإبداع.

❖ إطلاق موقع عربي متخصص لتسويق الأفكار والفرص للتعريف بالأفكار الجديدة والمجدية في الأسواق العربية مع وضع الضوابط وحماية الملكية الفكرية لمقدمي هذه الأفكار.

❖ توعية راغبي تأسيس مشروعات جديدة أو توسعة مشروعات قائمة من خلال الندوات وورش العمل والمؤتمرات والمعارض المحلية والدولية التي تنظمها الجهات المعنية بالدول العربية بضرورة الإبداع والتجديد والبعد عن التقليد في المشروعات الصغيرة.

❖ تنظيم معارض سنوية بالغرف التجارية ومؤسسات دعم مشاريع الشباب والجامعات وإدارات التعليم ونوادي الشباب لعرض أفكار الشباب وأفكار المبدعين وإتاحة الفرصة للتمويل أو الدخول معهم في شراكة من قبل رجال الأعمال والجهات التمويلية. ولغرفة الشرقية تجربة ناجحة في هذا الصدد من خلال عرض الملتقى الأول للمنشآت الصغيرة والمتوسطة لأكثر من مائة وستين اختراعاً يعقول وبنات أفكار الشباب السعودي. وإذا كان الملتقى الثاني قد تركز موضوعه على العمل الحر والملتقى الثالث على التكامل بين الصناعات الصغيرة والكبيرة فإن الملتقى الرابع للمنشآت الصغيرة والمتوسطة الذي تنظمه الغرفة في مايو المقبل سوف يركز على موضوع هذه المقالة وهو «الإبداع».

وعندما اتصلت بصديقي - والذي مازال يبحث عن ممول لابتكاراته - وعرضت عليه هذه الأفكار، انفرجت أساريره ثم لم يلبث إلا أن صاح مرة أخرى «المهم التنفيذ وبسرعة».